الهزات الأرضية: وواجب المسلم عند الإحساس بها

د. عامر محمد نزار جلعوط

دكتوراه في الاقتصاد المالي الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الحمد لله القائل في كتابه الكريم قال تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا [الاسراء: ٥٩].

لقد رأى الناس في العالم منذ مطلع هذه السنة ٢٠٢٠ أحداثًا لم يعتادوا عليها، وأثّرت في صميم حياتهم ومعاشهم، وأهمّها وباء كوفيد ١٩، وتتوالى هذه الأحداث على الناس كل الناس في العالم، وكان من بينها ما جرى من هزّات أرضية شرقي البحر المتوسط في يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر نيسان حتى بلغت أكثر من عشر هزات، وما زالت مستمرة، فتضاف إلى سجّل شدائد هذه السنة، وسجّل الرسائل الربانية إلى الناس، وهذا لأجل تنبيه الناس إلى كيفية صلتهم نحو خالق الكون الذي يفعل ما يشاء؟.

أخرج ابن أبي شيبة عن علقمة قال: **(زُلزلت الأرض على عهد عبد الله – أي ابن مسعود – قال: إنا كنا نرى الآيات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بركات وأنتم ترونها تخويفًا)**.

واجب المسلم عند رؤية الآيات:

ثمة مجموعة من الواجبات عند رؤية الآيات وتواليها أوجز مجموعة منها:

– **الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى**: ذلك لأن الله تعالى قد أقام الكون على الأسباب والمسببات، فالمؤمن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم يفوض أمره إلى الله تعالى ويتوكل عليه وكأن الأسباب ليست بشيء. قال تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [التوبة: ٥١].

– **الاعتبار والرجوع إلى الله وصدق التوبة**: قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون. قال تعالى: وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ [هود: ٣].

– وقال تعالى: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** [الروم: ٤١].

– **الاستغفار للنفس والمؤمنين والمؤمنات**: قال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** [الأنفال: ٣٣].

وروى عبد الرزاق في المصنّف: عن ابن جريج قال قلت لعطاء: أستغفر للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: نعم، قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فإن ذلك الواجب على الناس، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)**، قلت: أفتدع ذلك في المكتوبة أبداً؟ قال: لا، قلت: فبمن تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل بنفسي كما قال الله: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

وروى الإمام أحمد في المسند عن أبي موسى، قال: أمانان كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُفع أحدهما وبقي الآخر: **(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)**.

ولا يكفي الاستغفار باللسان مع وجود الإصرار على سيء الأعمال، قال أبو حامد الغزالي: الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله، وكما يقول إذا سمع صفة النار – نعوذ بالله منها – من غير أن يتأثر به قلبه، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة[1].

– **محاسبة النفس والتفتيش عن مواطن الزلل**: فالتخويف والوعيد إنما هو إنذار وتحذير أخرج البيهقي أن الأرض قد زلزلت على عهد عمر رضي الله عنه حتى اصطفقت السرر وابن عمر يصلي فلم يدر بها ولم يوافق أحداً يصلي فدرى بها، فخطب عمر الناس فقال أحدثتم: لقد عَجِلْتُمْ، وفي رواية: يا أهل المدينة، ما أسرع ما أحدثتم لئن عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم.

1 إحياء علوم الدين جـ 4 ص 74. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505 هـ) دار المعرفة – بيروت.

- **الخوف من خالق الأرض والسماء مع الطمأنينة بالفرار إليه**: ينبغي للإنسان[1] إذا شاهد شيئًا من آيات الله تعالى من الرعد والبرق، والزلازل، واشتداد الرياح، والكسوف والخسوف، وغير ذلك أن يلزم الخوف والوَجَل، ويسأل الله تعالى أن يعيذه ويعافيه؛ فإن هذا هو المطلوب بإرسال الآيات كما قال الله تعالى: **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** [الاسراء: ٥٩]. ولا ينبغي له أن يعرض عن ذلك؛ فإن من أُري الآية ليتأثر بها فلم يتأثر فقد ألحق نفسه بالجمادات، بل يؤمن بالذي تقوم السماء والأرض بأمره، يبدل الأرض غير الأرض والسموات، وينسف الجبال نسفًا، ويسيِّرها فتكون سرابًا، فيعلم أنه قادر على كل ممكن، وعقوبة المعاصي من الممكنات المتكررات، فيخاف ويخشى، ويتعظ ويرعوي، ويتيقظ ويستوي. قال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** [فاطر: ٤١-٤٤].

- **الصلاة والدعاء والتضرع لله تعالى**: فالصلاة والسجود محل لراحة وأمان المؤمنين والدعاء مطلوب عند كل شدة فكيف عند رؤية الآيات؟ روى الترمذي وغيره، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال: "اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ)**.

فالله سبحانه وتعالى يجري الآيات والعقوبات المروعة لينتبه العباد لأنفسهم ويصلحوا من أعمالهم فإذا لم يتوبوا ولم يغيروا فإن الله يزيدهم من البلاء والفتن لعلهم يرجعون قال تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**

1 حسن التنبه لما ورد في التشبه جـ 6 ص 515، نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة 977 هـ، والمتوفى بها سنة 1061 هـ) دار النوادر، سوريا ط: 1، 1432 هـ - 2011 م.

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ [الأنعام: ٤٢-٤٤].

- **الشكر والحمد لله تعالى عند العافية والسلامة**: قال بعض الفقهاء: يستحب سجود الشكر عند تجدد النعم، واندفاع النقم[1]. وقال تعالى مرشداً نبيه نوحًا عليه السلام: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [المؤمنون: ٢٨]. وقال تعالى: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الأنعام: ٦٣] فلابد من الشكر في اللسان في الثناء على الله تعالى والشكر بالحال بالعزم على ترك المعاصي والإحساس اليومي بما ينعم به الإنسان من نعيم الله تعالى عليه، حتى تدوم السلامة والعافية والله تعالى يقول: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [إبراهيم: ٧].

- **العون والمساعدة**: قال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: ٧١]. فإذا وقع البلاء والشدة بالزلازل أو الأوبئة أو غيرها من النكبات العامة المزلزلة لأحوال المعاش والاقتصاد فيستحب لأفراد الأمة أن يقدموا العون والمساعدة لبعضهم في الأزمات وأن يتراحموا حتى يتسببوا في أن يغمرهم الله برحمته، وأداء هذا الأمر هو للأقرب فالأقرب من مكان الأزمة، وإذا كانت الأزمة يُخشى منها على حياة الناس وأرواحهم فينقلب الحكم من الاستحباب إلى الوجوب.

بعض الزلازل التي وقعت بالشام في القرون الهجرية الأولى:

- قال ابن كثير: ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين فيها كانت زلازل هائلة في البلاد، فمنها ما كان بمدينة قومس، تهدمت منها دور كثيرة، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفًا وستة وتسعين نفسًا. وكانت باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكرة[2]. ومثل ذلك ذكر الطبري: ثم دخلت سنة اثنتين

1 الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي جـ 2 ص 1146.
2 البداية والنهاية جـ 10ص 377. البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ، دار إحياء التراث العربي.

وأربعين ومائتين فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت فيها الدور ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير ذكر أنه بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفا وستة وتسعين نفساً وكان عظم ذلك بالدامغا وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف بها[1].

– قال ابن كثير: ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين... وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى، فمن ذلك بمدينة إنطاكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار، وانهدم من سورها نيف وتسعون برجًا، وسمعت من كُوى[2] دورها أصوات مزعجة جداً فخرجوا من منازلهم سراعًا يهرعون، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الأقرع فساخ في البحر، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم منتن، وغار نهر على فرسخ منها فلا يُدرى أين ذهب[3].

– قال ابن كثير: ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفيها... كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام، فهدمت شيئا كثيرا من العمران، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا[4].

– قال ابن كثير: ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة... وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها، فهدمت بنياناً كثيراً، من جملة ذلك تسعون برجًا من سور إنطاكية، وهلك تحت الهدم خلق كثير[5].

– قال ابن الجوزي: ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة... وفي ذي القعدة وردت الاخبار بوقوع زلازل كثيرة بالشام وقع منها نصف حلب ويقال هلك من أهلها ثمانون الفًا[6].

وختامًا لنتذكر قول الله تعالى: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** [الأنفال: ٢٥]، والحمد لله رب العالمين.

1 تاريخ الأمم والملوك جـ 5 ص 325. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1407.

2 الكَوَّةُ بالفتح ثقب البيت والجمع كِوَاءٌ بالكسر ممدود ومقصور و الكُوَّةُ بالضم لغة وجمعها كُوًى. مختار الصحاح 586 مختار محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة : 1415 – 1995.

3 البداية والنهاية جـ 10ص 381.

4 البداية والنهاية جـ 12ص161.

5 البداية والنهاية جـ 12ص 169.

6 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ 10ص 230،عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، 1358.